﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [التحريم: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

إتباعُ الدَّعوَى بالدَّليلِ خيرُ بيانٍ على عقيدةِ التَّوحيد

لمّا خُتِمت الآيةُ السّابقةُ بِذِكرِ عِلمِ اللّه الواسع وحكمتِه البالغة، في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ أعقَبَها بما يَدُلُّ على سَعةِ عِلمِه وإحاطتِه، فَذَكر إسرارَ النَّبيِّ ﷺ لبعضِ أزواجِه حديثًا، فكأنَّه قال: (إنَّ الذي يُخبركم بِسِرٍّ أُسِرَّ في الخفاء، لا يَخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماء)[1]، فهو انتقالٌ مِن ذِكر توحيد الأسماء والصِّفات، واعتقادِ ما تختصُّ به مِن حقائقَ لا تَكون لغير اللّه تعالى، إلى ذِكرِ مثالٍ على ذلك.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَسَرَّ﴾: (سرر) أصلٌ يدُلُّ على الخَفاء وكِتمان ما في النَّفْسِ، والسِّرُّ هو خفاءُ الشَّيءِ، وما كانَ مِن خالِصِه ومُسْتَقَرِّه، والجَمْعُ أسرارٌ، فالسِّرُّ: خِلاف الإعلانِ، يُقالُ: أسرَرْتُ الشَّيءَ إسرارًا، خِلافَ أعلَنْتُهُ، وسِرُّ الشَّيء خيارُه؛ لأنَّه يُخفَى، ويُضَنُّ به[2]، والسِّرُّ يُستَعملُ في الأعيان والمَعاني، وأسْرَرْتُ إلى فلان حديثًا: أفضيتُ إليه في خُفْيَةٍ[3]، والمعنى هنا: إذ أخفى الرَّسول ﷺ كلامًا، فلم يذكُرْه لأحَدٍ إلّا أنَّه أفضَى به إلى بعضِ أزواجِه، وأمَرَها أن تكتُمَه، ولا تُفشيه[4].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 157.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، (سر)، والجوهري، الصّحاح، (سرر)، وأحكام القرآن لابن العربي: 1/ 288.

(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (سرر).

(4) السّمرقندي، تفسير السّمرقندي: 3/ 467، والباليساني، حسن البيان: 6/ 2577.

2) ﴿عَرَّفَ﴾: (عرف) أصلٌ يَدُلُّ على تَمَيُّزِ أعلى الشَّيءِ أو ظاهِرِهِ، بمَلْمَحٍ يَدُلُّ عَلَيهِ، ويُبيِّنه، أو على أمرٍ فيهِ، كعُرفِ الدّيكِ والفَرَسِ، ومِنهُ عُرفُ الرَّملِ والجَبَلِ: أعاليهِ، عَرَّف الشيءَ؛ إذا بَيَّنَه ليُعْرَفَ، وعَرَفاتٌ: المُرْتَفِعاتُ الكَثيرَةُ المُنْتَشِرَةُ، وعَريفُ القَومِ: سَيِّدُهُم[1]، والمعنى هُنا: أعْلَمَ ببعض الحديث تَكرُّمًا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنباءُ العليمِ الخبيرِ للنَّبيِّ الكريمِ عن إفشاءِ زوجِه الحديث

تُبيِّن الآيةُ حَدَثًا وقَع بين النَّبيِّ ﷺ وزَوجه حفصةَ سِرًّا، فنبَّأت به عائشة ﵂، فأطلَعَ اللّهُ نبيَّه على ما كان مِن إفشاء الحديث؛ إذ أخبَرَها الرَّسولُ ببَعضِ ما أفشَتْه مُؤَنِّبًا لها، وتَرَك إخبارَها ببَقيَّةِ كَلامِها، فأعرَضَ عنه تكرُّمًا وحِلمًا، فلمّا واجَهَها ﷺ بما أفشَت؛ قالت مُتعجِّبَةً: مَنْ أخبَرَك بذلك؟ فقال: أخبَرَني بذلك العَليمُ الخَبيرُ الذي لا تَخفى عليه خافيَةٌ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الواو ودلالتها:

عطفُ القصَّة على القصَّة؛ لما بينهما من المَواعظ الجليلة، والعِبَر البليغة

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ عاطِفَةٌ قِصَّةً على قِصَّةٍ؛ إذ إنَّ حادثةَ إفشاء حفصة للسِّرِّ تختلف عن واقعة تحريم النَّبي ﷺ بعضَ ما أُحِلَّ له، ولكنَّها تتعلَّق بها فالعطف بالواو يُفيد التَّنبيهَ على ما انطوَى عليه ذلك الحَدَثُ النَّبويُّ مِن مَواعظَ جليلةٍ، وعِبَرٍ بليغةٍ، تُضيءُ أفئدةَ الأُسَرِ المسلمة، وتبثُّ فيهم روحَ الأدبِ والمهابةِ مِن حُرمة البيوتِ، سيَّما بَيْتُ النُّبوَّة، حيثُ وقعت القصَّةُ، وكانَ النبيُّ ﷺ طَرَفًا فيها، فخوطِبَ القارئُ بها؛ تعميمًا للفائدةِ، وتقريرًا للعِظة، وتجليةً لما في سيرةِ الزَّوجِ المُصطفى

(1) الحميري، شمس العلوم: (التَّعريف)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عرف).
(2) الزَّمخشري، الكَشّاف: 4/ 565.
(3) القاسمي، محاسن التَّأويل: 9/ 274.

من سُموِّ خُلقٍ، وعظيمِ حِلمٍ، ونفاذِ بصيرةٍ؛ ليُحتذى به في كُلِّ بيتٍ ومقامٍ[1].

معنى (إذ) ووظيفتُها البيانيَّة:

استحضارُ الحادثة في سياقها؛ ليكون للخبر وقعٌ أبلغ، وللعبرة أثرٌ أتمُّ

(إذ) ظرفٌ لِما مضى من الزمان، وقد استُعمِل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾، وهو متعلِّقٌ بفعلٍ مُضمرٍ، تقديره: (اذكُرْ حينَ وقوعِ الإسرار)، فهو استدعاءٌ للوقت الذي جَرَت فيه الحادثة، جيء بها؛ لاستحضار الحادثة في سياقها؛ ليقع الوقوفُ عليها وقوفَ الشّاهد لا السّامع، فيكتسب المقامُ بذلك مزيدًا من التَّجلية والتَّأثير، حتَّى كأنَّ النّاظرَ يَشهَدها عيانًا، ويُعايشُ مشاهدَها ومُجرياتِها، فيكون للخبر وقعٌ أبلَغُ، وللعبرة أثرٌ أتَمُّ[2].

بلاغة استعمال مفرد ﴿أَسَرَّ﴾:

الإشعارُ بتحقُّق الفعل وثبوته، والتَّقريرُ لحكمة الكتمان وعلوِّ المقصد فيه

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مُفردةِ ﴿أَسَرَّ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾، وهو فعلٌ ماضٍ دَخَلَت عليه الهمزةُ، وهي للجَعْل، أي: (جَعَل الكلام سِرًّا)، فهو مِمّا يُقال فيه: أسَرَّ في نفسه؛ إذا كتم، وأسرَّ إليه؛ إذا حدَّثَه بِسِرٍّ؛ فكأنَّه أنهاه إليه، وفي هذا التَّعبير دلالةٌ بليغةٌ على أنَّ النَّبيَّ ﷺ إنَّما خَصَّ الحديثَ بالكتمان لمصلحةٍ رآها، وحكمةٍ قَدَّرها، فلو لم يكن رأى في الإسرار مصلحَةً؛ لما أسَرَّ الحديث، ولا أوصى بكتمانه؛ إذ هو ﷺ أبعَدُ الخَلقِ عن كتمان ما فيه خيرٌ مَحْضٌ أو نفعٌ عامٌّ، فكان في التَّعبير بهذا الفعل إشعارٌ بتحقُّق الفعل وثبوته، وتقريرٌ لحكمة الكتمان وعلوِّ المقصد فيه[3].

بلاغةُ التَّعبير بصيغة الماضي:

التَّوطئة لبيانِ عِلْم الله تعالى للسِّرِّ وأخفى

جاء فِعلُ ﴿أَسَرَّ﴾ ماضيًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾؛ لبيان

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 351، وفاروق الزّين، بيان النَّظم في القرآن الكريم: 4/ 209.
(2) الواحدي، التَّفسير البسيط: 22/ 12، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 51، وصبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2126.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 351، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 29/ 498.

أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أسرَّ الكلامَ على وجه التَّحقيق والتَّوكيد، وأصبَحَ الإسرارُ جزءًا من الماضي المكتوم، وهو ما يوطِّئ؛ لبيانِ عِلم الله تعالى لما أُسِرَّ، ولكشفِ الإسرار مِن قِبَل بعض أزواج النبيِّ ﷺ.

بلاغةُ تلوين الكلامِ مِن الخطاب إلى الغَيبة:

تلوينُ الأساليب تنبيهٌ يوقظُ البصائر، ويُحرِّك القلوب

افتُتِحت الآيتان السّابقتان بأسلوب الخطاب، الأولى جاء الخطابُ فيها للنَّبيِّ ﷺ، والثانية جاء الخطابُ فيها لأُمَّته تبعًا له، وهذه الآية: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾، جاءت بأسلوبِ الغَيبة؛ ليُشادَ عليه بناءُ العِبرة، وتُستَخرج منه دروسُ الأدب ومحاسنُ الأخلاق، ويكون فيه من التَّنبيه ما يوقِظُ القلوبَ، ومِن التَّحذير ما يردعُ النُّفوس، فجرى الكلامُ على سَنَنِ الحكمة، ونُسِج بلُحمةِ التَّربية والتزكية؛ ليكون أبلغ في الإفادة، وأقوى في إيقاظ الغافل، وتعليم المُتأدِّب[1].

دلالة التَّعبير بلفظِ ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾:

الإيذانُ بعِظَمِ المنزلة وتفخيمِ الشأن

﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ هو رسول الله ﷺ، و(أل) هُنا للعهد الذِّهنيِّ، فهو المعروف عند السّامع والمُخاطَب مِن سياق الآيات، كما أنَّه لا يُفهَم مِن الإطلاق سواه ﷺ، فكان ذِكْرُه باللَّفظ المعهود إيذانًا بعِظَم منزلته، وتفخيمًا لشأنه، وتنبيهًا على خصوصيَّة الخطاب به دون غيره حتَّى في باب العتاب[2].

نُكتة تعدية فعل ﴿أَسَرَّ﴾ بحرفِ ﴿إِلَىٰ﴾:

تعظيمُ مقام السِّرِّ، وتشديدُ حُرمةِ إفشائه

في تعدية فِعْلِ ﴿أَسَرَّ﴾ بـ﴿إِلَىٰ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾، لطيفةٌ بيانيَّةٌ دقيقةٌ؛ إذ دَلَّت على أنَّ الإسرار انتهى إلى جهةٍ مخصوصةٍ بعينها، فلا يُقال فيها إلّا مع قَصْدِ الإبلاغ لمُعيَّن، يُقال: أسرَّ إليه؛ إذا أسرَّ أمرًا خاصًّا لأجْله، فـ(أسرَّ إليه)، ليست كـ(أسرَّه)، فإنَّ الأولى تُشعِر بأنَّ السِّرَّ بَلَغَ المسموعَ إليه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 350.

(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 51، وتفسير حدائق الرَّوح والرَّيحان: 29/ 498.

بطريق التقَصُّدِ والاختصاص دون غيره، وكأنَّ الكلام نُقل إليه نقلًا خفيًّا مُتعمَّدًا، فيه قصدٌ للإيداع والائتمان، لا مجرَّدَ الإفضاء، وفي ذلك تعظيمٌ لمقام السِّرِّ، وتشديدٌ في حُرمته[1].

فائدةُ الإبهام بلَفْظِ ﴿بَعْضِ﴾ دون التَّعيين:

الوقوفُ على مَغزَى القِصَّةِ وموضعِ الحكمةِ هو مقصودُ الكلام

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ لفظ ﴿بَعْضِ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾، دونَ التَّصريحِ بالاسم، وذلك لِما في هذا اللَّفظِ من الإبهام، وهو أسلوبٌ كِنائيٌّ قُصِدَ به السِّتر؛ إذ ليس المُرادُ تعيينَ الأعيان، بل استنباطُ العِبرة، والوقوفُ على موضع الحكمة فيما جرى، فالمرادُ العِلمُ بمَغزى القِصَّةِ، وما فيها ممّا يُجتنَبُ مِثْلُه، أو يُقْتدَى به[2].

كما أنَّ في الإبهام تعظيمًا لمقام النَّبي ﷺ، وصَونًا لحرمةِ أزواجه ﷺ عن التَّعيير والتَّشهير، فجاء الإبهامُ أليقَ بمقام النُّبوَّة، وأوفى بأدبِ القرآن[3].

دلالةُ الإضافة وفائدتها:

الزَّوجةُ هي موضعُ الثِّقة عند زوجها، ومُستودَعُ سِرِّه

أُضيفَ لفظُ ﴿بَعْضِ﴾ إلى ﴿أَزْوَٰجِهِۦ﴾، وأُضيفَ لفظُ (أزواج) إلى الضَّمير في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾، والمقصودُ حَفْصةُ ﵂؛ وذلك للإشعار بموضع الثِّقة، وتأكيدٌ على أنَّ إيداع سِرِّه ﷺ كان في مَحَلِّه؛ إذْ لا أحد أحَقُّ بحفظ سرِّ الرَّجل مِن زوجه، فهي موضع السُّكون والمَوَدَّة، ومَوئِلُ الأمان والاطمئنان، وفي هذه الإضافة أيضًا تلويحٌ بالعِتاب، فإنَّ مَن كان لها هذا القُربُ وهذه المنزلة، كان حريًّا بها أن تَحفظ ما خُصَّت به، لا أن تُفشيَهُ، فالخطاب فيه ملامحُ التَّوجيه والتَّأديب، المستنبطة مِن بلاغة الإضافة وشَرَفِ النِّسبة[4].

(1) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 873، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 351، وعبد الملك قاسم، عقد الجمان: 1/ 1207.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 210، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 352.

(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 185، والمطعني، التَّفسير البلاغي للاستفهام: 4/ 269.

(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 352.

نُكتة تقديم شبه الجُملة على المفعول:

تقديمُ المقصود بالكلامِ، وهو مَوضِع الإسرار

قُدِّم ذِكرُ شِبه الجملة: ﴿إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾، على المفعول به ﴿حَدِيثٗا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾؛ وذلك لرعاية مقام الاهتمام والتَّخصيص؛ إذ التَّقديم يُفصِح عَن العناية بشأن المقدَّم ذكرُه، وأنَّه المَحَلُّ المقصود بالإسرار، قبل الإفصاح عن مضمون الحديث نفْسِه.

غرضُ تنكير لفظ ﴿حَدِيثٗا﴾:

الإيماءُ إلى خُصوصيَّته، وأنَّه ليس مِن شأن الرِّسالة

نُكِّر لفظ ﴿حَدِيثٗا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾؛ للإبهام وكونه أمرًا خاصًّا ليس مِن شأن الرِّسالة؛ إذ لو كان مِن قبيل ما يُبلَّغ، ويُذاع؛ لَصَرَّحَ به، ولأورَدَه مُعرَّفًا مبسوطًا، مع ما في تنكيره مِن تكريمِ مقام النَّبيِّ ﷺ، وستْرٍ لِما أراد اللّه سترَه مِن أمرٍ خاصٍّ به، فدلَّ ذلك على أنَّ الحديث المُسَرَّ به لم يكن مِن قبيل ما يُفشى، أو يُكشف، ثُمَّ لمّا أطلعَنا اللّهُ عليه بعد ذلك، فإنَّما كان ذلك ليُستنبَطَ منه ما فيه من العِبر والأحكام؛ إذ أحوالهُ ﷺ كُلُّها هديٌ وشرْعٌ، ما لم يَرِدْ فيه تخصيصٌ[1].

بلاغة المجاز المرسل في استعمال لفظ ﴿حَدِيثٗا﴾:

التَّعبير بفعل الحدثان يكسو الألفاظَ حياةً، ويُلبس المعاني حُلَّة التَّجدُّد

إطلاق (الحديث) على (الكلام)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ مجازٌ؛ لأنَّه مُشتقٌّ من الحَدَثان، أي: الوقوع والتَّجدُّد، فكان إطلاقُه أوَّلًا على الفعل نفسِه الذي يقع في الخارج، ثم استُعمِل في الكلام النّاقل لذلك الفعل أو المُنبئ عنه، على جهة المجاز المُرسل بعلاقة المُلابسة؛ إذ إنَّ الكلام يتضمَّن وصفَ الحدثِ أو الإخبارَ به، "فالذي حَدَث هو الفِعل ونحوه، ثُمَّ شاع حتى صار حقيقةً في الخَبَرِ عنه، وصار إطلاقُه على الحادثة هو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 186.

المجاز، فانقلبَ حالُ وضعِه واستعمالِه"[1]، وبلاغة هذا المجاز في إطلاق (الحديث) على الكلام، أنَّه يكسو الألفاظَ حياةً، ويُلبس المعاني حُلَّة التَّجدُّد.

نوع الفاء ودلالتها:

التَّعقيب بالفاء يَـدلُّ على سببِ الإفشاء وسرعته

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ تحتمل أن تكون للاستئناف، وأن تكون للتَّعقيب، عُطِفت بها الجُملة الشَّرطيَّة على قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾؛ إيماءً إلى أنَّ الإفشاء أعقَبَ الإسرارَ قريبًا بلا تَراخٍ، فكان في هذا التَّرتيب تصويرٌ لحال المُبادرة السَّريعة بإذاعة الحديث؛ فالفاء توحي بسُرعة الوقوع، وفيه توبيخٌ خَفيٌّ، وتحذيرٌ مِن قِلَّة الكتمان وسُرعةِ الإذاعة[2].

وقد جيء بالشَّرط مقرونًا بالفاء، في قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾، عطفًا على ما قبلها؛ تنبيهًا إلى التَّسبيب مع التَّعقيب؛ إذ إنَّ ما جرى مِن إخبار النَّبيِّ ﷺ لها بعد ذلك، إنَّما كان نتيجةً مُترتِّبةً على إفشائها للحديث، فهو أثرٌ من آثار فِعلِها[3].

بلاغة التَّعبير بالجُملة الشَّرطيَّة:

تشويقُ النَّفْس بترقُّب الجزاء الذي يتأخَّر لحكمة التَّهيئة

جاء التَّعبيرُ بالجُملةِ الشَّرطيَّة، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ لِما فيه مِن لطيفِ البلاغة ودقيق الحِكمة؛ ففيه بيانٌ شافٍ، وإيضاحٌ كافٍ، وتشويقٌ للنَّفس بترقُّب الجزاء الذي يتأخَّرُ لحكمة التَّهيئَة، فإذا وقع؛ ثَبَتَ أثَرُه، ورسَخ معناه، وعظُمَ وقْعُه[4].

بلاغةُ استعمال مُفردة (النبأ) دون (الخبر):

بيانُ عظيمِ شَأنِ الحَدَث، فهو نبأٌ يُكشَف لا خبرٌ يُروى

اختيارُ فِعْلِ (نبَّأ) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾، يومِئ إلى خطورَتِه في نَفْسِها، وعظيمِ شَأنِه فيما يخُصُّ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 351.
(2) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2128.
(3) الدَّرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 10/ 132.
(4) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2130.

البيتَ النَّبويَّ؛ إذ الإنباءُ للأمر ذي الشَّأن؛ فهو ليس مجرَّدَ خبرٍ يُروَى، بل هو نبأٌ سرّيٌّ يُكشف؛ فالنَّبأ هو الخبرُ الجليلُ الذي يَقرَعُ السَّمع، ويهُزُّ النَّفس؛ وليس كُلُّ خبرٍ يُسمَّى نبأً، بل ما كان عظيمًا في مضمونه، جسيمًا في أثَرِه، وفي هذا التَّعبير أيضًا إشارةٌ إلى ما خلَّفه هذا الإفشاء مِن أثرٍ في بَيْتِ النُّبوَّة؛ إذ كان نبأُها ذلك سَبَبَ اهتزازٍ في بيت النبوَّة، فاستحقَّ أن يوصَف بالنَّبأ؛ لِما جَرَّه مِن توابع، وأثارَ مِن مواقف، فكان حقُّه أن يُصاغ بهذا اللَّفظ[1].

فائدة التَّعبير بصيغة (نبَّأ):

جيءَ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾، بفعل ﴿نَبَّأَتْ﴾ بصيغته المُضعَّفة؛ للدَّلالة على المُبالغة في نقل السِّرِّ بجميع تفاصيله، فَقَد أخْبَرت به غَيرَها، وأعْلَنَته بَعدَ أن كان مستورًا، وأظهَرَته بَعْدَ أن كان خافيًا، ولم تُخْفِ أيَّ شيءٍ منه عَن صاحبتِها[2].

بيانُ المبالغة في شأن نقلِ السِّرِّ

فائدةُ الإضمارِ وعَدَمِ التَّصريح بالاسم:

أفاد إضمارُ اسم المُنبِئَة بالحديث في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ - والضَّميرُ عائدٌ إلى قوله تعالى: ﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ - استبقاءً لجلال الحُرمة النَّبويَّة، وصيانةً لجناب أُمَّهاتِ المؤمنين عن التَّصريح والتَّشهير، فإنَّ التَّصريحَ بالاسم في هذا الموضع يوهِم التَّعيين بقصد اللَّوم والذَّمِّ، وهو ما تنزَّه عنه أسلوبُ القرآن، لا سيَّما في مقامٍ يُحيط ببيت النُّبوَّة الطّاهر[3].

استبقاءُ جَلالِ الحُرمة النَّبويَّة، وصيانةُ جَناب أمَّهات المؤمنين

نُكتة حذف مفعول ﴿نَبَّأَتْ﴾:

حُذِفَ مفعولُ الفِعل ﴿نَبَّأَتْ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾، وتقديره: (نبَّأت به صاحبَتَها أو غيرَها)؛ اكتفاءً بما دَلَّ عليه

(1) الخطيب، التَّفسير القرآني للقرآن: 14/ 1026.
(2) الخطيب، التَّفسير القرآني: 14/ 1025، وصبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2128.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 186.

السّياق، واستغناءً عن التَّصريح بالمفعول؛ إذ لا تَعَلُّقَ للمقصود به، ولا مَدخلَ له في تحقيق الغَرَض، فجاء الحذفُ مِن باب الإيجاز بالحذفِ، الذي تُراعى مِن خِلاله مقاماتُ الكلام؛ لأنَّ المقصودَ مِن ذِكر القِصَّة ليس التَّتبُّع للتَّفاصيل، ولا التَّعيين للأشخاص، وإنَّما العبرةُ بالواقِعة، والاهتداءُ بما تضمَّنَتْه مِن أدبٍ وحكمةٍ، وتوجيهٍ ربَّانيٍّ كريم[1].

مُراعاةُ الإيجاز بما يُحقِّق العِبرةَ مِن القِصَّة والاهتداءَ بما تضمَّنته مِن أدبٍ وحكمةٍ

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ تحتمل أن تكون للحال، وفيها إيماءٌ بديعٌ إلى أنَّ الإنباءَ وقَع والحالُ أنَّ ربَّ العِزَّة قد أطْلَع نبيَّه الأمين على مكنون ذلك الأمر؛ إيذانًا بعظيم منزلته، ودلالةً على كمال العناية به، وإشارةً لطيفةً إلى إحاطته تعالى بما يُدَبَّر في الخفاء، ويُتداول في السِّرِّ، أيًّا كان قائِلُه ومُدبِّرُه[2]، وتحتمل أن تكون للعطفِ على ﴿نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾، أي: اجتمع حدَثان: إنباءُ بعض الأزواج بالحديث، وإظهارُ الله لهذا الإنباءِ، فيكونُ جوابُ الشرط: ﴿عَرَّفَ﴾ لهذين الفعلين معًا.

بيانُ مَشهَدِ التَّعريف بالغيب

بلاغةُ الاستعارة التصريحيَّة في فعل (أظهره):

قولُه تعالى: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾، أي: (أطلَعَه عليه)، وهو مُشتقٌّ من الظُّهور بمعنى التَّغلُّب، واستُعير الإظهار بمعنى الإطلاع؛ لأنَّ إطلاعَ اللهِ نبيَّه ﷺ على السِّرِّ، الذي كان بَيْنَ زوجتَيه - رضي الله عنهما - كان غلبةً له عليهما فيما دبَّرَتاه، وذلك أنَّ حفصة وعائشة - رضي الله عنهما - قد أرادتا كتمان الحديث، فدبَّرتا أمرًا خفيًّا لا يطَّلع عليه أحد، فكانتا في ذلك كَمَن يُغالبُ على أمرٍ، فيُحكِم غَلْقَه وسَتْرَه، غير أنَّ الله جَلَّ شأنُه لمّا أطلَعَ نبيَّه ﷺ على ما أسرَّتا، كان في ذلك غلبةٌ له

معنى الإظهار يُراد منه الإطلاعُ أصالةً والنَّصرُ إيماءً

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 566، والطّيبي، حاشية الطيبي على الكَشّاف: 15/ 499.
(2) العلوان، إعراب القرآن الكريم: 4/ 2487.

على سرِّهما، فالإظهار هُنا مِن الظُّهور بمعنى الغلبة والانتصار، وليس هو مِن الظُّهور الذي هو ضِدُّ الخفاء، ففي التَّعبير به استعارةٌ تصريحيَّة - شُبِّهَ فيها الإطلاعُ بالإظهار بمعنى التَّغلُّب - تُفصح عن عنايةٍ إلهيَّةٍ، وتدلُّ على أنَّ النَّبيَّ ﷺ في حِفظِ الله وعِلمه، لا يُدبَّر أمرٌ حولَه إلّا ويَبلُغه، وإنْ خفيَ على النّاس أجمعين، فسُبحان مَن أظهَر، وأطلَع، وقَهر، فأبلغ[1]، فاللهُ ناصرُ نبيَّه في كلِّ الميادين وشتَّى المجالات.

بلاغة إسناد فعل الإظهار إلى الاسم الجليل:

في إسناد فعل (أظهَرَه) إلى اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ﴾، تنبيهٌ إلى عظيم عناية الله تعالى برسوله؛ لأنَّ إعلامه بما لا عِلْمَ له به مِمّا يَهُمُّه فيه مِن العناية والاهتمام ما لا يحتاج إلى بيان[2].

فائدة استعمال حرف الاستعلاء:

استعمل النظمُ الكريمُ حَرفَ الاستعلاء، في قوله تعالى: ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾، أي: (أظْهَر نبيَّه ﷺ على الإنباء الذي وقَع مِن بعض الأزواج)؛ لبيانِ التَّمكُّن مِن معرفةِ ما حدث من الإنباء بين الأزواج، وهو ما يُقوّي دلالة الإطلاع والإشراف على الإنباء.

تمكُّن العلم في الحضرة النبويَّة إشـــرافٌ عـالٍ وثباتٌ بيِّن

تعيينُ مرجعِ الضَّمير:

الضَّميرُ في ﴿عَلَيۡهِ﴾ مِن قوله تعالى: ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾، راجعٌ على الإنباء المُستفاد مِن قوله: ﴿نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾، أو إلى الحديث المُضمَر، بتقدير مضافٍ دلَّ عليه السّياق، والتقدير: (أظهَرَه الله على إفشائه)، ففي هذا الضَّمير إيذانٌ بأنَّ الله تعالى أطلعَ نبيَّه ﷺ

يـرجِـعُ الضَّميرُ إلـــى الإنـبـاء وما يَتبَعُه مِن تفاصيل

(1) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 51، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 352، والطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 470.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 353.

لا على ذات الحديث فحسب، بل على فِعل الإفشاء نفسِه، أي: على حقيقة ما كان من النَّبأ وما صَحِبَه مِن الحَدَث[1].

دلالةُ مفردة ﴿عَرَّفَ﴾ ونُكتة فصل الجملة:

المقصودُ بالتَّعريف في قوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾، أي: (أعلمَها ببعضِه)؛ إظهارًا للمقصود مِن الموعظة، وقد صَدَر التَّعريفُ مِن النَّبي ﷺ على وجْهِ الحِكمَة والتَّأديب؛ ليوقِفَ زوجَته على ما كان مِنها مِن مخالفةٍ لِواجب حِفظ سِرِّ الزَّوج وصيانة ما يُؤتمَن عليه، وقد جاءت الجملة مفصولةً؛ لأنَّها جواب الشَّرط؛ ففيه دلالةٌ على استقلالِ هذا المقام، وإبراز مقصد التَّعريف، وتفريقٌ بين الفِعلِ الإلهيِّ، وهو الإظهار، والفعلِ النَّبويِّ وهو التَّعريف[2].

التَّفريق بَيْنَ الإظهار الإلهي والتَّعريف النَّبوي

توجيه القراءات القرآنيَّة:

قرأ الجمهور قولَه تعالى: ﴿عَرَّفَ﴾، وهو من التَّعريف، أي: (أعلَمَها النَّبيُّ ﷺ ببعض ما أفْشَتْه)، وقرأ الكِسائيُّ: ﴿عَرَفَ﴾ بتخفيفِ الرّاءِ[3]، فهي على معنى المُجازاة، كقول العرب: (لأعرِفنَّ لك ذلك)، أي: لَأُجازيَنَّك عليه، فالكلمةُ ههنا تُفيد الكِنايةَ عَن التَّوبيخ والعتاب، لا الإخبارَ فَحَسْب، بل على وجه الجزاء المقصودِ به الزَّجْرُ والتَّأنيبُ، وقد قيلَ في تأويل هذه القراءة: إنَّه ﷺ طَلَّق حفصةَ - رضي الله عنها - تطليقةً، ثُمَّ راجَعَها، أو عاتبَها عِتابًا شديدًا، فجاء التَّعبير في موضع الكناية، دالًّا على التَّوعُّد والمُجازاة[4].

اتِّساعُ القراءات القرآنيَّة للمعاني العديدة؛ سَعةٌ دلاليَّةٌ وأُفقٌ بَيانيٌّ

غرَضُ حذفِ الفاعِل والمفعول الثاني:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ حَذْفَ المفعولِ في قوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾،

توجيهُ الأنظارِ إلى التَّعريفِ لا الأشخاص

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 353.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 353، والطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 470، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 29/ 463.

(3) ابن الجزري، النَّشر في القراءات العشر: 2/ 388.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 210، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 355، والدَّرويش، إعراب القرآن: 10/ 132.

دون أن يُقال: (عرَّفها النَّبيُّ بعضَه)، وذلك لنكتةٍ بلاغيَّةٍ لطيفةٍ؛ إذْ لم يكن المقصودُ في السّياقِ التَّنبيه على المعرَّف إليها، بل على فِعْلِ المُعاتبة وجناية المُفشي، فجرَى التَّعبيرُ على مقتضَى المقام، فذُكِرَ الفِعلُ ومَفعولُه، وحُذف الفاعلُ والمفعولُ الثّاني للاكتفاء بالسّياق، وللدَّلالة على أنَّ التَّركيزَ إنَّما هو على فعلِ الإفشاء والتَّعريف، لا على الأشخاص بعينِهم، فجاء التَّعبيرُ أبْلَغَ في العتاب[1].

دلالةُ التَّعبير بِمُفرَدة (أعرض):

نفسُ الكريم لا تستقصي العِتابَ، بل تُشير، وتومئ

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مُفرَدة الإعراض، في قوله تعالى: ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾؛ لبيانِ كمال أدبِ النَّبيِّ ﷺ في التَّعامل مع زوجِه وعُلوِّ خُلُقِه؛ إذْ لم يستقصِ في المُعاتبة، بل اكتفى بالإعلام ببعضِ ما كان، وترْكِ ما سواه؛ تَلطُّفًا في العتاب، وتَرَفُّعًا عن الفضيحة، وإيثارًا لحُسن التَّأديب على التَّفصيل في اللَّوم، وفي هذا الإعراضِ ما يَدُلُّ على أنَّ المقصودَ قد حصَلَ بالتَّعريض دون التَّصريح، وأنَّ النَّفس اللَّطيفة يكفيها أدنى تنبيه، فتوقِنُ أنَّ السِّرَّ المُذاعَ لم يَخْفَ على الله، فسُبحان مَن عَلَّم نبيَّه مكارمَ الخُلُق[2].

بلاغَةُ المقابلة بَينَ التَّعريف والإعراض:

الإشارةُ إلى سُموِّ أخلاق النَّبيِّ ﷺ، وكمال حِلمه

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾، مقابلةٌ لطيفةٌ بَينَ فعلي: ﴿عَرَّفَ﴾ و(أعرض)، تُفصِح عن سُموِّ أخلاق النَّبيِّ ﷺ، وكمال حِلمه، ولينِ جانبه في معاتبة أزواجه، فقد جَمَعَ بين البيان والإغضاء، والإشارةِ والكَفِّ، فعَرَّفَ ببعض ما كان؛ تَلَطُّفًا في العتاب، وأعرضَ عن بعضه؛ توقيرًا وكرَمًا، وتجنُّبًا للخَوض في دقائق الذَّنب، وهذا الأسلوبُ البليغُ أبعَدُ

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 566، والطّيبي، حاشية الطّيبي على الكَشّاف: 15/ 499، والدَّرويش، إعراب القرآن: 10/ 132.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 353، والقاسمي، محاسن التَّأويل: 9/ 274، والمراغي، تفسير المراغي: 28/ 158.

في أثَرِه، وأقرَبُ إلى إحياء النَّدم في نفس المُعاتَب، فإنَّ "الكَفَّ عن بعض العَتَب أبْعَثُ على حياء المعتوب، وأعْوَنُ على توبته"[1].

بلاغةُ العدولِ عن ذكرِ (عرَّف) إلى (نبَّأ):

الـكـلامُ يـأتي وصفًا لمتلقّيه، وتصويرًا لمشهد المخاطَب

عدَلَ النَّظمُ الكريمُ عَن مفردة (عرَّف) إلى (نبَّأ)، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾، وهذا فيه مِن لطيفِ البلاغة وجليلِ الحكمة ما يُناسِبُ المقامَ النَّبويَّ في التَّربية والعتاب، فمجيءُ فِعلِ الشَّرط: ﴿نَبَّأَهَا﴾ بهذا اللَّفظ هو باعتبار وقْعِ الكلام عليها، فهو نبأٌ عظيم بالنِّسبة لها، وشأنٌ كبيرٌ في سَمْعِها، فأن تَعلَمَ أنَّ اللهَ ﷻ يُخبر نبيَّه ﷺ بما أفْشَت مِن سِرِّه، سيجعلها في ملامةٍ شديدة، ولم يكن ذلك لمُجرَّد إخبارٍ أو كَشْفٍ، بل لأداءِ واجبِ التَّأديب والمُعاتبة؛ إذ لا يُطلِعُ اللهُ نبيَّه على خفايا الأمور إلّا لحكمةٍ سامية، ومقصدٍ جليل، وهو في هذا الموضع التَّنبيهُ على الخطأ، دون التَّشهير بالذَّنب، وذلك مِن سُموِّ خُلُقِه ﷺ، ولذلك جاء جوابها: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾، فعبَّرت به على سبيل التَّثبُّت مُعبِّرةً عن غاية الدَّهشة، واستبعدت في ظاهر قَولِها أنْ يصِلَ النَّبيُّ ﷺ إلى عِلْمِ ما كان بَيْنَ خاصَّتها، وفي ذلك بُرهانٌ على صدق النُّبوَّة، وأنَّ العلم الذي أوتيه وحيٌ صريح مِن لَدُن العليم الخبير، أراد به تقويمَ السُّلوك[2].

بلاغة الاستفهام وغَرَضُه:

تصويرُ التَّعجُّب والـدَّهـشـة الـتـي أنـتـجَت استحضارَ ما بَدر مِن الخَطأ

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ استفهامٌ على الحقيقة، ومعناه يَحمِل في طيّاته التَّعجُّبَ، بل هو أليَقُ بالمقام، فإنَّ حَفصَةَ ﵂، لمّا سَمِعت مِن النَّبيِّ ﷺ ما يَدُلُّ على عِلْمِه بما أفْشَت مِن سرِّه؛ وقَعَ في نَفْسِها وقعًا عظيمًا، فبادرت بالسُّؤال على جهة التَّعجُّب والدَّهشة؛ إذ كانت تَظُنُّ أنَّ ما دار بينها وبَيْنَ عائشة ﵂ في

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 187.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 210، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 351.

طَيِّ السِّرِّ والخفاء لا يَبلُغُه أحدٌ، فكيف وقد بَلَغَ النَّبيَّ ﷺ؟ وفي هذا الاستفهام كنايةٌ دقيقةٌ عَن تيقُّظها المُفاجئ إلى عِظَم ما صنَعَت، واستحضارِها لِما بَدرَ منها مِن الخَطأ، الذي حجبتها عنه حالَةُ الوُدِّ والصَّفاء مَعَ عائشةَ ﵂[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة ﴿أَنۢبَأَكَ﴾:

جاء التَّعبيرُ بصيغة ﴿أَنۢبَأَكَ﴾، دون (نبَّأك) في قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾، فعُدِلَ عن صيغة التكثير (فعَّل) إلى صيغة (أفعل)، في إشارةٍ لطيفةٍ إلى التَّردُّد، الَّذي راوَدَ حفصةَ ﵂ في تعيين المُنبِّئ، أهو الوحيُ أو عائشةُ ﵂، فناسبَ تركَ التَّشديدِ في الوزن[2].

استفهامٌ حقيقيٌّ مِن السَّيِّدة حفصة ﵂

نكتةُ التَّعبيرِ باسم الإشارة القريب:

في قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ - أي: الخَبَر - جاء التَّعبيرُ باسم الإشارةِ القريبِ ﴿هَٰذَاۖ﴾ دون البعيد، لنُكتةٍ لطيفةٍ؛ إذ دلَّ على استحضارِ الأمْرِ في ذِهْنِ المُتكلِّمَةِ، فحَضَرَ في وجدانها حضوره في الواقع، وتصويرُه كأنَّه حاضرٌ بين يديها، فلفظ ﴿هَٰذَاۖ﴾ يُشير إلى أنَّ الأمر صار مَشهودًا، ظاهرًا، معلومًا، وهو أبلغُ في التَّعبير عن المُفاجأة والدَّهشة، وأدلَّ على شِدَّة وقْعِ الخبر في نفس حفصَةَ ﵂.

الدَّلالةُ على حضور الأمْرِ في وجدان حفصة حضورُهُ في الواقع

عِلَّةُ فَصْلِ جملة: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾:

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ عَمّا قبله؛ لأنَّه جوابٌ على سُؤالٍ قَبْلَهُ، ويُراد به استجلابُ انتباه المُخاطَب مع الأحداث لجدارتها بالمُتابعة والاهتمام، وعِظَم ما فيها مِن دروسٍ ومعانٍ، وهذا مِن سَنَنِ النَّظم القُرآنيِّ، أن يُفرِدَ القولَ بالفعل (قال)؛ إذا كان المقامُ مقامَ جوابٍ يحمِلُ مِن الفائدة ما يقتضي الوقوفَ عنده

استجلابُ انتباهِ المُخاطَب مع الأحداث لجَدارتها بالمُتابعة والاهتمام

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 354، والفرماوي، السَّهل المُفيد: 3/ 464.
(2) المهائمي، تفسير المهائمي: 3/ 425.

والتَّأمُّلَ في معانيه، لا سيَّما إذا تَضَمَّن ذِكْرَ الله وأسمائِه الحُسنى، كما في قوله: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ مُضَعَّفًا:

التَّضعيفُ يَدُلُّ على المُبالغة والتَّوكيد؛ تنويهًا بعِظَم الخبر، وتثبيتًا له في النَّفس

عدَلَ النَّظمُ الكريمُ عَن صيغة (أنبَأني)، في قولِه تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، فلم يوافِق ما جاء في السؤال: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا﴾، الذي جاء بالهمزة لا التَّضعيف - فيكون ردًّا على سؤالها بالمفردة وصيغتها - بل آثَرَ الفِعلَ المُضعَّف ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ في موضع الإنباء، لِنُكتَةٍ بيانيَّة؛ إذ التَّضعيفُ يدلُّ على المُبالغة والتَّوكيد، فَعَدَلَ إلى (نبَّأ) الذي هو أبلغُ تنبيهًا على تحقيقِه، وقد جاء على هذا الوجه؛ تنويهًا بعِظَمِ الخَبَر، وتثبيتًا له في النَّفس؛ لما يقتضيه المقامُ مِن تحقيقِ النَّبأ، ورَفعِه فوق مراتِب الأخبار المُعتادة كونه مِن قِبَل الله ﷻ[2].

فائدةُ إسناد فِعْل (الإنْباء) إلى العليم الخبير:

الأنبياءُ صلوات الله عليهم وسلامُه لا يعلمون الغيبَ في أخصِّ شؤونهم

في قوله تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ دليلٌ على أنَّ الأنبياء صلواتُ الله عليهم وسلامُه لا يعلمون الغيبَ مِن أنفسهم، ولا يُطاعونَ على ما خفيَ إلّا بإعلامٍ مِن الله تعالى، ووَحيٍ مِن لَدُن عَليمٍ خَبيرٍ، فقد أُسنِدَ فِعلُ ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ إلى الله ﷻ؛ بيانًا لمصدر العِلْم، وتنزيهًا لِنَفْسِه عَن دعوى عِلم الغَيب، وهو مِن كمال التَّوحيد، وفيه تأكيدٌ على أنَّ عِلْمَ الغيب لا يكون إلّا لِمَن شاء اللّهُ أن يُطلِعَه عَلَيه، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: 26 - 27][3]، وفي ذلك ردٌّ على مَن يدَّعي معرفةَ الغيب في شؤون غيره، فإذا كان النبيُّ ﷺ لا يَعلَمُ ما يخصُّ شؤونَه الأُسَريَّة،

(1) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2130.
(2) الرّاغب، المُفردات: (نبأ).
(3) العثيمين، شرح رياض الصّالحين: 1/ 318.

فكيف له أن يعلَمَ فوق ذلك؟ وكيف لِمَن هو دونَه مِن النّاس في العِلْمِ والطُّهْرِ والإيمانِ أنْ يَعلَم أحوالَ الآخرين؟.

نُكتةُ إيثارِ وصْفَيِ العَليم الخَبير:

التَّنبيهُ على ما يُناسِب المَقام في الوعظِ والاعتبار

آثرَ النَّظمُ الكَريمُ انتقاءَ ذِكْرِ الوصفَين الكريمَين، في قولِه تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾؛ للتَّنبيهِ على ما يُناسبُ المَقام، فإنَّ السّياق يُؤكِّد على أنَّ الأمرَ الذي أُطلِع عليه النَّبيُّ ﷺ كان خَفيًّا عَن الخَلق، فناسبَ أن يُنسَب العِلمُ به إلى العليم الخَبير؛ ليتَحقَّق في القلبِ أنَّ اللّه لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماء، ففيهما مِن التَّذكيرِ بما يجبُ أنْ يَعْلَمَه النّاسُ مِن إحاطةِ اللّهِ تعالَى عِلْمًا وخَبَرًا بكلِّ شَيءٍ[1].

نُكتةُ إتْباعِ وصْفِ العليمِ بوَصْفِ الخَبيرِ:

التَّنبيه على سعة عِلْم اللهِ ونفاذِه إلى خفايا النُّفوس

في إتْباعِ وصْفِ العليمِ بوَصْفِ الخَبيرِ في قوله تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، تنبيهٌ على سعة علمِ اللّه ونفاذه إلى خفايا النُّفوس وبَواطنِ الصُّدور، فإنَّ اللّهَ عَلِمَ دَخيلةَ المُخاطَبةِ وما قصَدَتْه مِن إفشاءِ السِّرِّ للأُخرَى، ولِما في اسمِ اللّه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ مِن المُبالَغةِ ممّا ليس في ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

غَرَضُ إطلاقِ فِعْلِ ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ عَن التَّقييد:

توجيهُ الأنظارِ إلى الفاعلِ المسؤولِ عنه؛ لإفادةِ عُمومِ جميلِ أفعاله

أُطلِقَ فِعلُ ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ عَن التَّقييد، في قوله تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾، فلم يَذكُر النَّبيُّ ﷺ الشَّيءَ الذي أُخبِر به، فلم يقل: (نبَّأني العليم الخبير بهذا)؛ لكونه جوابًا عَن قولِها: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾، وقد اعتُمِدَ في السُّؤالِ عن المُنْبِئ، وأوقِعَ المُنبَّأُ به فضْلةً في الكلام، فإنَّ حفصة ﵂ سَألَت عن المُنبِئ (مَن أنبأك)، ولَم تَسأل عَن صِفة الإنباء (ماذا أنبأ)، فصارَ مَحَلُّ العناية في السُّؤال مُنصَبًّا على

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 570، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 354.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 570.

المُخبِر دون الخَبَر، فاقتُصِر في الجواب على تعيين المُنبئ، وزويت الإشارة إلى المُنْبَأ به اكتفاءً بما تقرَّر في ذهن السّامع من السّياق؛ ثمَّ إنَّ في تَرْك النَّبأ إيحاءً بالعموم والتَّفخيم، فكأنَّ النَّبيَّ ﷺ، يقول: ما مِن شَيءٍ أُنبئتُ به إلّا وقد نَبَّأني به العليمُ الخبير، لا يَخفى عليه خافٍ، ولا يَغيب عنه ظاهرٌ ولا باطِنٌ؛ لذلك أُردِفَ بالعليمِ الخَبيرِ، أي: العليمُ بكُلّيّاتِ الأحوالِ، والخبيرُ بجُزئيّاتها[1].

بلاغةُ التَّذييل بالاسمَيْن الجليلَيْن:

قَولُ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ إشارةٌ بليغةٌ إلى ما أحاط اللهُ تعالى به نبيَّه ﷺ من عنايةٍ خاصَّةٍ ورعايةٍ تامَّة؛ إذْ ليسَ مِن دَلالَةِ النَّصر والتَّأييد أبلغ مِن أن يُطْلِعَه على ما خَفيَ عنه، ممّا له به تعلُّقٌ وشَأنٌ، كما أنَّ في هذا الإخبار مِن رَبِّ العزَّة تعليمًا لِحَفصة رضي الله عنها ولغيرها أنَّ ما أسرَّهُ النّاس لا يَخفى على مَن يعلَمُ السِّرَّ، فهو العليمُ بجليلِ الأمورِ ودقيقِها، الخبيرُ بما تُكِنُّه الصُّدور وتُخفيه الضَّمائر[2].

الإشـــارةُ إلى الإحـــاطـــة الـرَّبّـانـيَّـةِ مِـن العناية الخاصَّة والرِّعايةِ التامَّة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخَبَر والنَّبأ:

النَّبأ: الخبر الذي له شأنٌ عظيمٌ[3]، ومنه اشتقاق النُّبوَّة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ مُخبِرٌ عن الله تعالى، ويَدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النَّبأ: 1 - 2]، فَوَصْفُه بالعَظَمَة، وصفٌ كاشِفٌ عَن حقيقَتِه.

النَّـبـأُ خـبرٌ ذو شـأنٍ عـظـيـمٍ، والخَبَرُ أعمُّ

ولا يُقال للخبر: نبأٌ حتَّى يَتَضَمَّن هذه الأشياء، والصّيغة الفعليَّة للنَّبأ: (أنبأ) أقوى أيضًا منها للخبر (أخْبَرَ)، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١﴾ [الشعراء: 221][4].

(1) الطّيبي، حاشية الطّيبي على الكَشّاف: 15/ 500.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 355.
(3) الرّاغب، المفردات: (نبأ).
(4) أبو هلال العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 529.

الإبداءُ والإظهار:

الإبـــداءُ هـو الإظـهـارُ الـزّائِـدُ البَيِّنُ

الإظهارُ مِنَ الظُّهورِ، وهوَ الانكِشافُ والبُروزُ، يُقالُ: ظَهَرَ الشَّيءُ؛ إذا انكَشَفَ، وبَرَزَ[1]، والإبداءُ ظُهورٌ في غايَةِ الشِّدَةِ والوُضوحِ والبَيانِ، فَبَدا الشَيءُ بُدوًّا، أي: ظَهَرَ ظُهورًا بَيِّنًا قَويًّا[2]، فَقَولُنا: (بَدا) يُشيرُ إلى السُّطوعِ في الظُّهورِ، فَفيهِ قَدْرٌ زائِدٌ عَن مُجَرَّدِ الظُّهورِ؛ إذًا هُناكَ ظُهورٌ، وظهورٌ بيِّنٌ ساطِعٌ، فَيَكونُ بَينَهُما عُمومٌ وخُصوصٌ، فالإظهارُ أعَمُّ مِن الإبداءِ، والإبداءُ أخَصُّ مِن حَيثُ شِدَّةُ الظُّهورِ وقوَّتُه، قال تَعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النّور: 31].

(1) ابْنُ فارِسٍ، مَقاييسُ اللُّغَةِ: (ظهر).

(2) الرّاغب، المفردات: (بَدا)، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (بدو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"